# الشريف المرتضى وموقفه من الاحتجاج النحوي بالقرآن الكريم وقراءاته

أ. م . د . محمّد ضياء الدّين خليل إبراهيم
كليّة الإمام الأعظم الجامعة
قسم اللّغة العربيّة

## المقدمة

الحمد لله ربِّ العالمين، وأشرف الصلاة وأتم التسليم على سيد الأولين والآخرين، سيدنا ومولانا محمد المصطفى الأمين وعلى آله الطيبين الطاهرين، وصحبه الغر الميامين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. أمّا بعد: فقد أنزل الله كتابه الكريم على نبيه الأمين محمد"صلى الله عليه وسلم"، فكان معجزةً ربانيةً، وكانت هذه المعجزة من جنس ماعليه العرب، وبه تفاخروا، وعليه تنافسوا وتباروا، إنّها اللغة العربية التي تميز بها العرب، وبلغوا بها أوجَّ حضارتهم ورقيهم، ولها أقيمت الأسواق، وعقدت المنتديات، وبسببها تنافس الخطباء والشعراء، وتولّد من كل ذلك لغة فصيحة ناضجة، فأنزل الله كتابه الكريم بهذه اللغة الفصيحة الناضجة ليتحدّى به العرب أن يأتوا بمثله أو ببعضه وإن كان من جنس لغتهم، ولم يخرج عن أصولهم المرعية، وقوانينهم السائدة، وإنّما راعاها أشدّ المراعاة، واختار أصحَّ الألفاظ وأقوى الأساليب، وأبلغ التراكيب، وتكفل الله "جلّ وعلا" بحفظ هذا الكتب الكريم، وهيأ لحفظه الأسباب، ومن أسباب حفظه، المحافظة على لغته.وقد قيَّض الله لهذه اللغة علماء عاملين، وفقوا لجمع هذه اللغة من أفواه العرب، ودراستها واستخراج أصولها وقواعدها، والسنن المرعية التي كان تراعيها العرب في حديثها وكلامها، ومن هؤلاء العلماء العاملين: السيّد، علَم الهدى، ذو المجدين، الشريف المرتضى المتوفى سنة ٤٣٦ه.فقد قضى الشريف المرتضى حياةً حافلةً بالمنجزات الضخمة، والأعمال الخالدة، ونذر نفسه للعلم حتى سهل قياده، فكان ذروةً شامخة تنحط عنها الذرى. وعلى الرغم من أنّ الشريف المرتضى لم يؤلف كتاباً في النحو، ولكنَّه تكلم في بحوث نحوية كثيرة تدل على إطلاعه وفهمه الواسع لهذا العلم، فهو نحوي لايقل شأناً فيما طرق عن أولئك النحويين الأوائل. وقد عاد عليه هذا التبحر في اللغة والتوسع فيها بالخير العميم، وقاده هذا التغلغل في أسرار العربية إلى الفهم العميق، والعمل بما توصل إليه فهمه، وأيقن به قلبه.

ولقد كان تفسيره للقرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف وتأويلهما بما يوافق وجهة نظره في الاعتقاد في التوجه والفهم يتطلب منه معرفة تامة بأصول الإعراب وفروعه اعتماداً على المقاصد والمعاني، وهذا إن دلّ على شيء فإنّما يدل على أنّ السيد المرتضى كان عالماً جهبذاً لايشق له غبار في علمه بأساليب البيان وعلوم العربية، وكتابه الأمالي شاهد حيٌّ على ذلك، فهو بصير بلغة قومه متمرس بطرق الأداء، فهو قد وقف على مذهب الكوفيين والبصريين على حد سواء، ولكنه لم يلتزم مذهباً بعينه، بل حاول أن ينتفع بآراء المذهبين، فإذا كان الرأي يعنيه على تبني الرأي الذي يبغي إليه ذهب إليه، ورُبّمَا جمع بين النحو والكلام، وإذا دققنا النظر في أثناء استعراض كتابه الأمالي لمعرفة أراء النحويين من سابقيه ومعارضيه، وجدنا الرجل قد قرأ كثيراً من كتب النحو، وعاصر علماء متقدمين في النحو ومسائله، وجاء برأي مخالف لبعض منهم أو موافق، وذلك من خلال معرفته بوجوه اللغة ومعانيها المختلفة.

وقد استأثرت القراءات القرآنية فضلاً عن القرآن الكريم باهتمام الدارسين القدامى منهم والمحدثين، لِمَا تمثله من الظواهر المتعددة، ولِمَا تضعه بين أيدي دارسي النحو واللغة من وجوه الاستشهاد المختلفة، وهي فضلاً عن ذلك أعلى الشواهد رتبةً وأصحها سنداً، وأدقها ضبطاً، ثُمَّ أنَّ كثرة وجوهها وتباينها سبعيةً كانت، أو عشرية، أو ما زاد على ذلك أو شاذةً، يجعل منها الميدان الرحب والمعين الثر الذي يمد الدارسين بما يتطلبونه لإثراء دراساتهم وتوثيقها.

ويظهر أنَّ المتأخرين من النحويين قد اتخذوا منهج الإكثار من الاحتجاج بآي القرآن الكريم جنباً إلى جنب مع استشهادهم بالشعر العربي، ومنهم صاحب هذه الدراسة إذ كانت الشواهد القرآنية عنده هي الرئيسة في استشهادته، وإثباته للأحكام، وتقريره للقواعد، وبما أنَّه من نحويي القرن الخامس فقد أكثر في كتبه من الاستشهاد بالقرآن الكريم، ويكفي أن نلقي نظرة على الفهرس الذي صنعه محققو كتبه حتى نقف على عدد كبير من آيات القرآن الكريم، والأمر نفسه للقراءات القرآنية، فقد وقف السيد المرتضى من القراءات موقفاً محموداً، واحتجَّ بها، واستند عليها في تثبيت القواعد وتقرير الأحكام، وهو على كثرة ما أورد منها، نجده لايطعن بالقُرّاء كما فعل عدد من النحويين، بل إنَّه يُثْنِي على القراءة، ويَعُدُّها أصلاً من أُصول السماع التي تبنى عليها الأحكام والقواعد النحوية.

وقد أردنا في بحثنا هذا أن نقف عند ظاهرة الاحتجاج النحوي بالقرآن الكريم وقراءاته عند السيد الشريف المرتضى، فنحلل أسلوبه في الاحتجاج، ونبين قواعده والأسس التي اعتمدها في استشهاده بالقرآن الكريم وقراءاته، فلذا جاء بحثنا هذا. ولأجل الوصول إلى هذا الهدف قسم البحث إلى ثلاثة مباحث رئيسة، هي:**المبحث الأول:** وقد جاء بعنوان"**التعريف بالشريف المرتضى**"،وقد تضمن التعريف به من جهة: اسمه ومولده، وأسرته، وثناء العلماء عليه، والمناصب التي تولاها، وشيوخه، وتلاميذه، ومؤلفاته، ووفاته.**المبحث الثاني:** وقد جاء بعنوان"**القرآن الكريم والقراءات القرآنية**"مفاهيم ودلالات، وقد تضمن الإشارة إلى التعريف بالقرآن الكريم، وبيان مفهوم القراءة في اللغة والاصطلاح، والفرق بين القرآن والقراءات، وأقسام القراءات، وموقف النحويين من الاحتجاج بالقراءات القرآنية.**والمبحث الثالث:** وقد جاء بعنوان"**الاحتجاج النحوي بالقرآن وقراءاته عند الشريف المرتضى**"،وقد تناولنا في هذا المبحث موقف الشريف المرتضى من الاحتجاج النحوي بالقرآن الكريم وقراءاته بالرجوع الى مصنفاته ومؤلفاته، وتحليل تلكم المواقف التي سنقف عندها.

وختاماً: نرجو أن تكون هذه الدراسة قد أعطت الموضوع حقّه، وأن يفيد منه الباحثون مثلما أفاد البحث من غيره.

# المبحث الأول
# التعريف بالشريف المرتضى

**أولاً: اسمه ومولده:**

أبو القاسم علي بن الحسين بن موسى بن محمد بن موسى بن إبراهيم بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه[١].

يُلقب بالشريف المرتضى، والشريف الموسوي، وذي المجدين، والسيّد، وعلَم الهدى[٢].

وُلِدَ سنة "٣٥٥هـ"ببغداد، أيّام خلافة المطيع لله بن المقتدر، الخليفة الثالث والعشرين من خلفاء الدولة العبّاسيّة[٣].

**ثانياً: أسرته:**

والد الشريف المرتضى هو: أبو أحمد الموسوي الحسن بن موسى بن محمد بن إبراهيم بن موسى بن جعفر الموسوي يُلقَّب بالطّاهر وذي المناقب، وُلِدَ سنة(٣٠٧هـ)،وقد كان جليل القدر، عظيم المنزلة في دولة بني العباس ودولة بني بويه، ولقب بالطاهر الأوحد، وهو الذي كان السفير بين الخلفاء وبين الملوك من بني بويه والأمراء من بني حمدان وغيرهم، وُلِّيَ نقابة الطالبيّين نحواً من خمس مرّات، يُعزل ويُعاد، توفيّ في جمادي الأولى سنة(٤٠٠هـ)،وقيل: توفي سنة(٤٠٣هـ)، ببغداد، وتوفيّ وعمره(٩٧) سنة، وصلّى عليه ابنه المرتضى، ودُفن أوّلا في داره، ثمّ نُقل منها إلى مشهد الحسين بكربلاء، وقد رثاه ابنه المرتضى[٤]. أمّا والدته فهي: فاطمة بنت أبي محمد الحسن، أو الحسين، الملقّب بالناصر الصغير، ابن أحمد بن أبي محمد الحسن، الملقب بالناصر الكبير، أو الاطروش أو الأصم، صاحب الديلم بن علي، بن عمر الاشرف، بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم، وقد توفّيت فاطمة بنت الناصر والدة الشريف المرتضى في ذي الحجة سنة(٣٨٥هـ)[٥]. أمّا أخوه الشريف الرضي فهو: أبو الحسن محمد بن الحسين بن موسى، ولد ببغداد سنة(٣٥٩هـ)،ولي نقابة الطالبين ببغداد بعد أبيه، وابتدأ يقول الشعر بعد أن جاوز العشر سنين بقليل، وكان شاعراً سخياً جواداً، قيل عنه: بأنّه أبدع ابناء الزمان، وأنجب سادة العراق، وأنّه أشعر الطالبين من مضى منهم ومن غبر، وقيل: كان الشريف الرضيّ في كثرة أشعاره أشعر قريش، توفي في شهر محرم سنة(٤٠٦هـ)،وله من العمر(٤٧)سنة[٦].

**ثالثاً: ثناء العلماء على الشريف المرتضى:**

قال عنه النجاشي(ت٤٥٠ه):"أبو القاسم المرتضى، حاز من العلوم ما لم يدانه فيه أحد في زمانه، وسمع من الحديث فأكثر، وكان متكلماً شاعراً أديباً، عظيم المنزلة في العلم والدين والدنيا"[٧].

وقال عنه الطوسي(ت٤٦٠ه):"متوحد في علوم كثيرة، مجمع على فضله، مقدّم في العلوم، مثل: علم الكلام، والفقه، وأصول الفقه، والأدب، والنحو، والشعر، ومعاني الشعر، واللغة، وغير ذلك، له ديوان شعر يزيد على ألف بيت، وله من التصانيف ومسائل البلدان شيء كثير"[٨]. وقال ابن داوود في رجاله(ت٧٢٦ه):"أبو القاسم المرتضى، عَلَم الهدى، ذو المجدين، أفضل أهل زمانه، وسيد فقهاء عصره، حال فضله وتصانيفه شهير"[٩]. وكذلك ترجم جمع من علماء أهل السُّنّة للشريف المرتضى فأثنوا على شعره وسعة علمه واطلاعه، فقد قال عنه أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي(ت٥٩٧ه):"كان يقول الشعر الحسن، وكان يميل إلى الاعتزال، ويناظر عنده في كل المذاهب، وكان يظهر مذهب الإمامية، ويقول فيه العجب، وله تصانيف على مذهب الشيعة"[١٠].

وقال عنه الذهبي(ت٧٤٨ه):"والشريف المرتضى نقيب الطالبيين، وشيخ الشيعة ورئيسهم بالعراق، كان إماماً في التشيع، والكلام، والشعر، والبلاغة، كثير التصانيف، متبحِّراً في فنون العلم"[١١].

وقال عنه ابن حجر العسقلاني(ت٨٥٢ه):"صاحب التصانيف، وكان لايؤثر على العلم شيئاً، مع البلاغة، وفصاحة اللهجة، وذكر بعض الإمامية أنّ المرتضى أول من بسط كلام الإمامية في الفقة، وناظر الخصوم، واستخرج الغوامض وقيد المسائل"[١٢].

**رابعاً: المناصب التي تولاها الشريف المرتضى:**

في يوم السبت الثالث من شهر صفر سنة (٤٠٦هـ)، تولى الشريف المرتضى عدة مناصب: نقابة الطالبيين، وولاية المظالم، وولاية الحج، وقد قرئ تقليد الشريف المرتضى وتنصيبه في هذه المناصب بحضرة الأعيان من الأشراف، والقضاة، والفقهاء[١٣].

**خامساً: شيوخ الشريف المرتضى:**

أخذ الشريف المرتضى العلم عن عدد من علماء عصره ، ودرس

عليهم علوم اللغة والفقه والكلام، وقد ورد ذكر عدد من مشايخه وأساتذته في كتب التراجم ومن أبرز شيوخه وأساتذته[١٤]:

١ــ أبو علي الفارسي الحسن بن أحمد بن عبد الغفار بن محمد بن سليمان المتوفى سنة(٣٧٧هـ).

٢ــأبو عبد الله الحسين بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي، أخو الصدوق كان حياً سنة (٣٧٨هـ)، له كتاب التوحيد ونفي التشبيه والرد على الواقفة[١٥].

٣ــ أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي الملقب بالصدوق المتوفى سنة (٣٨١هـ).

٤ــ أبو الحسين أحمد بن محمد بن علي بن سعيد، أو ابن أبي سعيد، الكوفي من تلاميذ الكليني صاحب الكافي[١٦].

٥ــ محمد بن محمد بن النعمان بن المعلم المعروف بالشيخ المفيد، المتوفى سنة(٤١٣هـ).

**سادساً: طلاب الشريف المرتضى وتلاميذه:**

تتلمذ على يدي الشريف المرتضى عدد كبير من طلاب العلم، وكان من أبرزهم:

١ــ أبو جعفر محمد بن الحسن بن علي الطوسي، المتوفى في شهر محرم، سنة(٤٦٠هـ )،قدم بغداد، وتفقه أولاً على المذهب الشافعي، ثم درس عند المفيد، وعند الشريف المرتضى، وطائفة آخرين(١٧).

٢ــ أبو العباس، وقيل: أبو الحسين، أحمد بن علي بن أحمد بن العباس النجاشي الأسدي الكوفي، المتوفى سنة(٤٥٠هـ)(١٨).

٣ــ أبو الفتح محمد بن علي بن عثمان الكراجكي المتوفى سنة(٤٤٩هـ)،كان نحوياً لغوياً طبيباً متكلماً، من كبار تلاميذ الشريف المرتضى(١٩).

٤ــ أبو عبد الله الحسين بن عقبة البصري الضرير المتوفى سنة(٤٤١هـ)،قرأ على الشريف المرتضى كتاب الذخيرة وحفظه وله سبع عشرة سنة، وكان من الأذكياء وَرَدَ أنّه قال:"أقدر أحكي مجالس المرتضى وما جرى فيها من أول يوم حضرتها"،ثم يسردها مجلساً مجلساً والناس يتعجبون(٢٠).

٥ــ تقي الدين بن نجم بن عبيد الله أبو الصلاح الحلبي المتوفى سنة(٤٤٧هـ)،رحل إلى العراق ثلاث مرات وقرأ على الشريف المرتضى، له مصنفات في الأصول والفروع(٢١).

**سابعاً: مؤلفات الشريف المرتضى:**

ألّف الشريف المرتضى كتباً كثيرة في فنون شتى،مثل: علم الكلام، والفقه، وأصول الفقه، والأدب، والنحو، والشعر ومعاني الشعر، واللغة، وعلى الرغم من كثرة ما نسب إلى الشريف المرتضى من المؤلفات فإنّ كثيراً من هذه الكتب والمؤلفات لم تظهر للوجود بعد فهي مابين مخطوطة لم تحقق بعد، وما بين مفقودة غير موجودة، وفيما يأتي بيان بعض كتب الشريف المرتضى ومؤلفاته:

١ــ كتاب الشافي في الإمامة، وعنوانه الكامل:(الشافي في الإمامة والنقض على كتاب المغني للقاضي عبد الجبار بن أحمد)،وهو كتاب كبير الحجم، ومطبوع في أربعة أجزاء بمجلدين(٢٢).

٢ــ كتاب الذخيرة في علم الكلام(٢٣):وهو مكمل لكتاب الملخص في أصول الدين، والذي أملى المرتضى بعض أجزائه، وتوقف زمناً ثم عاد ليجمع تلك الأجزاء التي أملاها ويضيف إليها أجزاء أو موضوعات أخرى، يبسطها ويزيد في شرحها في كتاب الذخيرة، ولذلك كان الذخيرة مختصر الشرح في أبوابه الأولى، مبسوطاً موسعاً في أبوابه الأخيرة، وهو مشتمل على معظم الموضوعات المتعلقة بعلم الكلام(٢٤).

٣ــ رسائل الشريف المرتضى: وهذه الرسائل تتوزع موضوعاتها بين الفقه، وأصول الفقه، وعلم الكلام، والتفسير، واللغة، ومسائل أخرى متفرقة، وقد جمعت هذه الرسائل في أربع مجموعات، كل مجموعة عبارة عن مجلد كامل قام بإعدادها مهدي رجائي، بتقديم وإشراف: أحمد الحسيني.

٤ــ كتاب أمالي الشريف المرتضى، المعروف بكتاب الغرر والدرر، أو غرر الفوائد ودرر القلائد، وهو عبارة عن مجالس أملاها، تشتمل على تفسير لآيات من القرآن الكريم، وشرح لعدد من الأحاديث النبوية،وعلى فنون في معاني الأدب، تكلم فيها على النحو واللغة والشعر وغير ذلك[٢٥].

٥ــ كتاب الانتصار: وقد ألفه الشريف المرتضى لبيان المسائل التي انفردت بها الشيعة، ولقد كان لهذا الكتاب أثره الكبير عند الفقهاء الذين جاءوا بعد الشريف المرتضى[٢٦].

٥ــ كتاب الطيف والخيال[٢٧]:ويحتوي هذا الكتاب على مجموعة كبيرة من النصوص الشعرية المختارة في مدح الطيف وذمِّه، لعدد كبير من الشعراء العاصرين للمؤلف وغيرهم، منها:(٤١٥)بيتاً للشريف المرتضى نفسه.

٧ــ الفصول المختارة : وهو عبارة عن فصولٍ جميعها الشريف المرتضى من كلام شيخه أبي عبد الله محمد بن محمد بن النعمان المعروف بالمفيد، وهذه الفصول جميعها من مجالس المفيد ومناظراته، ومن كتاب المفيد المعروف بالعيون والمحاسن، كما ذكر ذلك الشريف المرتضى في مقدمته لهذا الكتاب[٢٨].

٨ــ ديوان الشعر: يتكون ديوان الشريف المرتضى في طبعته الأخيرة بتحقيق: الأستاذ رشيد الصفار، من جزأين، ويتضمن الديوان أربعة عشر إلف بيت من الشعر، كما أنَّ هناك جزءاً كبيراً من إشعار المرتضى وقصائده ما يزال مفقوداً، وهذا الجزء المفقود لايقل عن ستة الآف بيت من الشعر[٢٩].

**ثامناً: وفاة الشريف المرتضى:**

توفي الشريف المرتضى يوم الأحد الخامس والعشرين من شهر ربيع الأول سنة(٤٣٦هـ) ببغداد وكان عمره يومئذ ثمانين سنة وثمانية أشهر وأيام، وقد تولى غسله النجاشي تلميذ الشريف المرتضى ومعه الشريف أبو يعلى محمد بن الحسن الجعفري، وسلار بن عبد العزيز، وصلّى عليه ابنه في داره ودفن في داره عشية ذلك اليوم، ثمَّ نقل بعد ذلك إلى جوار المشهد الكاظمي، والرواية التي ذكرت أنّه مدفون بجوار أبيه بكربلاء رواية ضعيفة لايُعتدُّ بها[٣٠].

# المبحث الثاني
# للهالقرآن الكريم والقراءات القرآنية، مفاهيم ودلالاتلله

**أولاً القرآن الكريم:**

ذكر الكفوي (ت١٠٩٤هـ) أنَّ"الأُمّة من السلف مجمعة على أَنَّ القرآن كلام الله تعالى، وهو منتظم من الحروف والأصوات، ومؤلَّف ومجموع من سور وآيات، مقروء بألسنتنا محفوظ في صدورنا، مسطور في مصاحفنا، ملموس بأيدينا، مسموع بآذاننا، منظور بأعيننا"(٣١).وقد أجمع النحاة على الرغم من اختلاف مذاهبهم النحوية، على أَنَّ كُلَّ ما ورد من القرآن الكريم، وقُرِئَ به جاز الاستشهاد والاحتجاج به، سواء أكان متواتراً أم آحاداً، أم شاذاً، ما لم يخالف قياساً معروفاً(٣٢).وقد زخرت كتب النحو قديمها وحديثها بشواهد من القرآن الكريم، بدءاً بكتاب سيبويه الذي يُعدُّ أقدم أَثر نحوي وصل إلينا، فهو كتاب حفل بالشواهد القرآنية،"فقد كان سيبويه من أكثر النحاة تمسكاً بالشاهد القرآني وإجلالاً له، وكان يضعه في المرتبة الأولى؛ لأنَّه أبلغ كلام نزل، وأوثق نص وصل"(٣٣). وكذلك كان الفرّاء، إذ صرَّح بأنَّ"الكتاب أعرب، وأقوى في الحجة من الشعر"(٣٤).وقد اتفقت كلمة النحويين على اختلاف مذاهبهم النحوية "على أنَّه الينبوع الصافي، والمعين الذي لا ينضب للشواهد الصحيحة الفصيحة، وقد أطروه بما يستحقه، وقالوا فيه بما هو أهله"(٣٥).

**ثانياً: القراءات القرانية:**

**أولاً: القراءات القرآنية لغةً واصطلاحاً:**

ـالقراءات لغةً: جمع قراءة وهي في اللغة: مصدر قَرَأَ، يقال: قرأ فلان يقرأ قراءةً وقرآناً، بمعنى: تلا، فهو قارئ(٣٦).

ـ وفي الاصطلاح عرّفها الزركشي بأنّها:"اختلاف ألفاظ الوحي المذكور في كتابة الحروف أو كيفيتها من تخفيف وتثقيل وغيرها"(٣٧).وكذلك عَرَّف ابن الجزري القراءات بأنّها:"علم بكيفية أداء كلمات القرآن واختلافها معزواً لناقله"(٣٨)، وتابعه البنا بقوله:"علم يعلم منه اتفاق الناقلين لكتاب الله تعالى، واختلافهم في الحذف والاثبات، والتحريك والتسكين، والفصل والوصل، وغير ذلك من هيئة النطق والابدال، وغيره من حيث السماع"(٣٩).فالبنا تابع ابن الجزري في شرطي القراءة: النقل والسماع على ما يرى الدكتور الفضلي الذي خلص من هذه التعريفات إلى أنّ القراءة:"هي النطق بألفاظ القران كما نطقها النبي(صلى الله عليه سلم) أو كما نُطِقَتْ أمامه "صلى الله عليه وآله وسلم" فأقرّها، سواء أكان النطق باللفظ المنقول عن النبي(صلى الله عليه وسلم)فعلاً أو تقريراً، واحداً أم متعدداً"(٤٠).

**ثانياً: الفرق بين القران والقراءات:**

من المسائل المهمة التي أثيرت في القراءات القرآنية بعامة مسألة الفرق بين القراءات والقرآن وللعلماء فيها أقوال:

**الأول:** أنّ القرآن والقراءات حقيقتان متغايرتان وقد ذهب إلى هذا الرأي العلماء المتقدمون منهم الإمام الزركشي، إذ قال:"واعلم أنّ القران والقراءات حقيقتان متغايرتان، فالقران: هو الوحي المنزل على محمد "صلى الله عليه وآله وسلم" للبيان والإعجاز، والقراءات: هي اختلاف ألفاظ الوحي المذكور في كتبة الحروف أو كيفيتها، من تخفيف وتثقيل وغيرها"[٤١]، وتبعه على هذا الرأي القسطلاني[٤٢]،وأخذ بمذهبهما البنا[٤٣]،كما ذهب إليه من المعاصرين الدكتور صبحي الصالح ناقلاً نصّ الزركشي نفسه[٤٤].

**الثاني:** التفرقة بين ما توافرت فيه شروط القراءات الصحيحة وهي:"صحة السند، وموافقة العربية، ومطابقة الرسم"،فيعد هذا قرآناً، وأمّا ما تَخَلّفَ فيه ولو شرط واحد منها، فيعد قراءةً فقط، وهذا هو رأي جمهور العلماء والمقرئين[٤٥]، ويلاحظ عليه أنّ ما ثبت يقيناً أنّ النبي(صلى الله عليه وسلم) قرأ به أو أقرّ مَنْ قرأ به أمامه، ولم يكن متوفراً على الشرطينِ الآخرينِ، أعني: موافقة العربية ومطابقة الرسم لا نستطيع عَدّهُ غير قرآنٍ؛ لأنّ النبي(صلى الله عليه وسلم)لايقرأ بغير القرآن في موضع القران[٤٦].

**الثالث:** أنّ كُلّ قراءة تعد قرآناً حتى القراءات الشاذة "حقيقتان بمعنى واحد" ،وهذا هو رأي ابن دقيق العيد( ت٧٠٢هـ) الذي صَرّح به قائلاً:"الشواذ نقلت آحاداً عن رسول الله(صلى الله عليه وسلم)، فَيُعْلَمُ ضرورةً أنّه(صلى الله عليه وسلم)قرأ بشاذ منها وإنْ لم يعين، قال فتلك القراءة تواترت، وإنْ لم تتعين بالشخص، فكيف يُسَمّى شاذاً، والشاذ لا يكون متواتراً"[٤٧].وإليه ذهب بعض العلماء المعاصرين منهم الدكتور محمد سالم محيسن في كتابه "المغني في توجه القراءات العشر المتواترة"[٤٨] .

## ثالثاً: أقسام القراءات:

والقراءات المتواترة تقسم على قسمين: الأول: المتواترة: وهي القراءة المقطوع باتصالها بالنبي(صلى الله عليه وسلم)سواء تواتر نقلها أم استفاض[٤٩]،وقد عرّفها ابن الجزري بقوله:"كل قراءة وافقت العربية ولو بوجه، ووافقت أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالاً، وصحّ سندها، فهي القراءة الصحيحة التي لا يجوز رَدُّهَا ولايحل انكارها"[٥٠]،وتقسم القراءات المتواترة على أقسام: قسم اتفق على تواتره كقراءات القراء السبعة المشهورين، وقسم اختلف فيه كالقراء العشرة، وقسم اتفق على شذوذهم كالقراء الأربعة عشر[٥١].

**الثاني: الصحيحة:** وتقسم على قسمين: القسم الأول: الأحادية: وهي القراءة الجامعة للأركان الثلاثة، ولم يبلغ نقلها مستوى تفيد معه القطع باتصالها بالنبي(صلى الله عليه وسلم)[٥٢]،وقد عرّفها

ابن الجزري بقوله:"ما صحّ سنده بنقل العدل الضابط عن العدل الضابط إلى منتهاه، ووافق العربية **ووافق الرسم**"(٥٣).

**القسم الثاني: الشاذة:** وهي المخالفة للرسم(٥٤)،وقد عرّفها ابن الجزري بقوله:"ما وافق العربية، وصحّ سنده، وخالف الرسم"(٥٥)،وللتفرقة بين القراءات المتواترة والشاذة ذهب علماء القراءة إلى حصر القراءات المقبولة بضابط كي تصحّ روايتها، ويتلقاها الناس بالقبول، وهذا الضابط هو مقياس لقبول القراءات الصحيحة، وضعه العلماء لتمييز المتواتر من الشاذ على ثلاثة أركان، وهي:

١ــ صحة سندها.

٢ــ موافقة الرسم لأحد المصاحف العثمانية ولو احتمالاً.

٣ــ موافقة العربية ولو بوجه .وبهذه الأركان الثلاثة تمتاز القراءة الصحيحة التي لا يجوز ردها ولا يحل إنكارها، بل يجب قبولها من الناس، وهي من الأحرف السبعة التي نزل بها القران، سواء أكانت عن القُرّاء السبعة أم عن العشرة أم عن غيرهم، ومتى ما اختل واحد من هذه الأركان الثلاثة تعد القراءة ضعيفة ويطلق عليها شاذة(٥٦).

## المبحث الثالث

## الاحتجاج النحوي بالقرآن وقراءاته عند الشريف المرتضى

### أولاً: الاحتجاج بالقرآن الكريم:

نزل القرآن الكريم بلغة العرب، وهذا أشرف ما تميزت به هذه اللغة، فدأب العلماء على الاستشهاد بنصوص القرآن الكريم، لاسناد ما يذهبون إليه؛ لأنّها الكلام العربي الفصيح فضلاً عن أنّه نزل بلغة العرب فجاء موافقاً لأساليبهم في الكلام والنظم، وقد تأثر بهم المرتضى في ذلك فأكثر من الاستشهاد بالقرآن الكريم والاهتمام به بحيث فاقت الشواهد القرآنية الشواهد الأخرى.فكتبه تتسم بغزارة بينة بآيات القرآن الكريم، وهي ذات دلالة واضحة على رسوخ قدم المرتضى في هذا الجانب، كيف لا وهو الذي سبق له أن شرع بتفسير القرآن ففسر سورة الحمد(٥٧)،وقطعة من سورة البقرة(٥٨)وتوقف، ويحتمل أنّ مشاغل المناصب التي انيطت به بعد وفاة أخيه الشريف الرضي سنة (٤٠٦هـ)،ومهام المرجعية التي تصدى لها بعد وفاة أستاذه الشيخ المفيد سنة(٤١٣هـ) قد حالت من دون إتمام عمل عظيم كهذا.

لقد كان القرآن الكريم شديد المثول في ذهن المرتضى، عظيم التمكن منه، يسير الاستحضار لدى الحاجة إلى الاستشهاد والتمثيل، فإن أراد تأويل النصوص أو شرحها برز الشاهد القرآني بيسر متناه.فقد كان السيد المرتضى يقدم الشواهد القرآنية على غيرها عند توجيهاته وتعليلاته. ثم إنّه لايكتفي بالشاهد الواحد بل نراه يسوق أكثر من شاهد في المسألة الواحدة، ولعلّ مرد ذلك إلى سيادة

الطابع الكلامي على معظم كتبه، من ذلك ما ذكره وهو يتحدث عن حروف الصلات. إذ قال:"إنّ حروف الصلات يقوم بعضها مقام بعض، ومثل لذلك قوله تعالى:﴿ فَنَظَرَ نَظَرَةً فِي ٱلنُّجُومِ ﴾ (سورة الصافات: ٨٨)،وهو يريد: إلى النجوم، ويجري ذلك مجرى قوله تعالى:﴿ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ ﴾(سورة طه: ٧١)،وهو يريد: على جذوعها"[٥٩]. ومثل ذلك ما ذكره في معنى(أو)من قوله تعالى:﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ﴾(سورة البقرة: ٧٤)، قالوا وهنا دخلت للتفصيل والتمييز، ويجري ذلك مجرى قوله تعالى:﴿ وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُواْ ﴾(سورة البقرة: ١٢٥)،وكذلك قوله تعالى:﴿ وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا فَجَآءَهَا بَأْسُنَا بَيَٰتًا أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ ﴾(الأعراف: ٤)،وقد يحمل قوله تعالى:﴿ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾(سورة البقرة: ١٩)،على هذا الوجه"[٦٠].فالمرتضى يستشهد بالقرآن لتأييد القواعد النحوية، واللغوية. إذ ذهب إلى جواز وقوع الفعل الماضي حالاً إذ سبق بـ(قد)مضمرة كما في قوله تعالى:﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ ﴾(سورة المائدة: ٦٤)،إذ قال: وفي الكلام ضمير(قد)قبل قوله:(غُلّت أيديهم)وموضع غُلّت نصب على الحال ويسوغ اضمار(قد)هاهنا كما ساغ في قوله عزّ وجلّ:﴿ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ ﴾(سورة يوسف: ٢٦ــ ٢٧)،والمعنى: "فقد صدقت وقد كذبت"[٦١]،ويكتفي المرتضى في أغلب المواضع التي استشهد عليها بالقرآن بذكر موضع الشاهد في الآية من ذلك ما ذكره في جواز إضافة المصدر إلى المفعول. إذ استشهد على ذلك بقوله تعالى:﴿ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ ﴾(سورة ص: ٢٤)،وبقوله:﴿ لَّا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ ﴾.(سورة فصلت:٤٩)[٦٢]،كما استشهد على جواز حذف المضاف وإقامة المضاف إليه بقوله تعالى:﴿ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ﴾(سورة يوسف: ٨٢)، وقوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ﴾(سورة محمد: ٤)[٦٣].ونجده في مواضع أخرى لايكتفي بذكر الشاهد القرآني وإنّما يتعداه إلى ذكر الآية، أو نصفاً منها، من ذلك ما ذكره في جواز حذف جواب(لو)الشرطية في قوله تعالى:﴿ وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾(سورة الرعد:٣١)، ويستشهد على جواز هذا الحذف بقوله تعالى:﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ (سورة الأحزاب:٧٢)[٦٤].وفي ضوء ما تقدم تبين لنا أهمية الشاهد القرآني بالنسبة للمرتضى، حتى إنّ استعماله للشواهد القرآنية يفوق شواهده الأخرى إذ تتبعته فوجدته يستشهد بالقرآن في ثلاثمائة موضع فهو لايكاد يمر بمسألة لغوية أو نحوية إلّا ويذكر لها ما يناسبها من آي القرآن الكريم[٦٥].

**ثانياً: الاحتجاج بالقراءات القرآنية:**

اعتمد كثير من الباحثين القدماء على القراءات القرآنية في تأييد أو رفض الآراء والأحكام التي يستنبطونها في أثناء بحثهم في النصوص القرآنية واللغوية. ولهم في ذلك مذاهب مختلفة فمنهم من يأخذ بالسبع، أو العشر، ومنهم من يتعدّ تلك إلى الأخذ بشواذ القراءات.

وقداختلف العلماء فيها من حيث التواتر وعدمه، فالجمهور من علماء أهل السُّنّة اتفقوا على تواتر القراءات السبع واختلفوا في قراءة الثلاثة الزوائد على السبعة، وهم أبو جعفر ويعقوب وخلف، واتفقوا على شذوذ قراءة من زاد على العشرة[٦٦]،ويفهم من كلام بعض علماء أهل السُّنّة عدم التواتر سواء أكانت القراءة من السبعة أم من هو أكبر منهم، قال ابن الجزري:"كل قراءة وافقت العربية ولو بوجه، ووافقت أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالا، وصح سندها، فهي القراءة الصحيحة التي لايجوز ردها ولايحل إنكارها بل هي من الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن، ووجب على الناس قبولها سواء أكانت عن الأئمة السبعة أم عن العشرة أم عن غيرهم من الأئمة المقبولين، ومتى اختل ركن من هذه الأركان الثلاثة أطلق عليها ضعيفة أو شاذة أو باطلة سواء كانت عن السبعة أم عمّن هو أكبر منهم"[٦٧]،فهذا النص لايوجب اختصاص التواتر والصحة بالسبعة أو العشرة دون غيرهما. ومعنى قوله:(وافقت العربية)،أي: موافقة القراءات للقواعد النحوية المستقاة من النسق العربي الفصيح، ولايرى بعض اللغوين ضرورة لهذا الشرط لأنّه أمر متحقق لامحالة حين يتحقق شرط الرواية أو صحة السند[٦٨]،أمّا الأمامية فقد قالوا بعدم تواتر القراءات وتَمَسّكوا بالقول الذي يُروى عن الإمام الصادق:"إنّ القرآن واحد نزل من عند واحد "[٦٩]،وأشار الطوسي إلى هذا المعنى بقوله:"اعلموا أنّ العرف من مذهب أصحابنا والشائع من أخبارهم ورواياتهم أنّ القرآن نزل بحرف واحد على نبي واحد غير أنّهم أجمعوا على جواز القراءة بما يتداوله القراء وإنّ الإنسان مخير بأي قراءة شاء قرأ"[٧٠]،ولذا فلا حجة عندهم للقراءات في الاستدلال على الحكم الشرعي، ولكنهم لم يغفلوا العناية بها وتوجيهها والاحتجاج بها في ترجيح المعاني القرآنية. والمرتضى أحد الذين اعتمدوا على القراءات القرآنية في تأييد الآراء ودعمها، والقواعد التي كان يأخذ بها.إذ تتبعه فوجدته مكثراً من ذكر القراءات إذ استشهد بها على قضايا اللغة والنحو في( خمسة وثلاثين)موضعاً في كتبه المختلفة[٧١]، وغالباً ما نجده لايكتفي بذكر القراءة التي تلائم القاعدة النحوية التي يستدل بها عليها وإنّما يتعدى ذلك إلى ذكر معظم القراءات التي أثرت عن القراء. مثال ذلك ما ذكره في قوله تعالى:﴿ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾(سرة المائدة:٦٠)، إذ استدل بقراءة الفتح على عدم جواز عطف الاسم على الفعل، قال:"وهذا لايجوز إلّا في قراءة من قرأ بالفتح[٧٢]،وقد قرئت الآية بفتح العين وضم الباءمن(عَبُدَ)[٧٣]،وكسر التاء من الطاغوت، ومنهم من قرأ(عُبّد[٧٤]الطاغوت) "[٧٥].وبعد أن يذكر القراءات يختار منها قراءة الفتح ويرى بأنّها(المختارة عند أهل العربية وعليها جميع القراء السبعة إلّا حمزة فإنّه يقرأ( بفتح العين وضم الباء)[٧٦]،وباقي القراءات شاذة غير مأخوذ بها.

لذلك يختار لهذه القراءة ما يرجّحها ويقويها: إذ ينقل عن الزجاج أنّه كان يأخذ بقراءة الفتح وكذلك ابن مسعود كان يقرأ(عبدوا الطاغوت)وهذا يقوى:(عَبَد الطاغوت)[٧٧].واستشهاد المرتضى بالقراءات القرآنية يدفعه احياناً إلى توجيه بعض القراءات التي يضيفها غيره، مثال ذلك قراءة من قرأ قوله تعالى:﴿ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖۖ ﴾(سورة هود:٤٦)،بنصب اللام وكسر الميم ونصب غير[٧٨]،إذ قال:"فأمّا القراءة بنصب اللام فقد ضعفها قوم، قالوا: كان يجب أن يقال: إنّه عمل عملاً غير صالح؛ لأنّ العرب لاتكاد تقول: هو يعمل غير حسن، حتى يقولوا: عملاً غير حسن، وليس وجهها بضعيف في العربية؛ لأنّ من مذهبهم الظاهر إقامة الصفة مقام الموصوف عند انكشاف المعنى وزوال اللبس، فيقول القائل: قد فعلت صواباً، وقلت حسناً"[٧٩].وتظهر عناية المرتضى بالقراءات القرآنية واضحة في بحثه التأويلي، فهو يحتج بها في بيانه لدلالة النص القرآني، ويرجع قراءة على أخرى ويشير إلى اختلاف القراءات ومن قرأ بها وعلاقتها باللغة والنحو ذاكراً ما يترتب على اختلاف القراءة على المعنى. ولايكتفي المرتضى بالاعتماد على مصدر القراءات بل إنّه في أغلب الأحيان يتوسع في القراءة، ويذكر اختلاف القراء وحجة كل قراءة وعني عناية خاصة بتوجيه القراءات المشهورة(السبع)وبيان حججها وعللها وذكر طرقها، ففي قوله تعالى:﴿ لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ قِبَلَ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ ﴾(سورة البقرة: ١٧٧)،يشير المرتضى إلى اختلاف القراء السبعة في رفع الراء ونصبها في قوله تعالى:﴿ لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ ﴾ فقال:"قرأ حمزة وعاصم رواية حفص:"ليس البرّ" بنصب الراء، وروى هبيرة عن حفص عن عاصم انّه كان يقرأ بالنصب والرفع، وقرأ الباقون بالرفع، والوجهان جميعاً حسنان لأنّ كل واحد من الاسمين: اسم ليس وخبرها معرفة، فإذا اجتمعا في التعريف تكافأ في جواز كون إحدهما اسماً والآخر خبراً))[٨٠]،ثم ذكر المرتضى حجة كل فريق فقال:"وحجة من رفع (البر)أنّه: لأن يكون (البر)الفاعل أولى؛ لأنّه ليس يشبه الفعل وكون الفاعل بعد الفعل أولى من كون المفعول بعده...وحجة من نصب(البر)أن يقول: كون الاسم إن وصلتها أولى لشبهها بالمضمر. فكأنّه اجتمع مضمر ومظهر والأولى إذا اجتمعا أن يكون المضمر الاسم من حيث كان أذهب في الاختصاص من المظهر"[٨١].ونجد المرتضى في بعض المواقع يرجح قراءة على أخرى، ويظهر أنّ شهرة القراءة من الأسباب التي تدعوه لترجيح قراءة على أخرى، وان لم يلتزم ذلك في قوله تعالى:﴿ وَوَجَدَكَ ضَآلّٗ فَهَدَىٰ ﴾(سورة الضحى:٧)، ذكر في معنى الآية وجوها منها:"أنّه أراد وجدك ضالاً عن النبوة فهداك إليها أو عن شريعة الإسلام التي نزلت عليه وأمر بتبليغها إلى الخلق"[٨٢]،ثم ذكر قراءة من قرأ بالرفع(ووجدك ضالا فهدى)على أنّ اليتيم وجده، وكذلك الضال[٨٣]،لكنه رد هذا الوجه بقوله:"وهذا الوجه ضعيف لأنّ القراءة غير معروفة، ولأنّ هذا الكلام يسمع أكثر معانيه"[٨٤]. وعناية المرتضى بالقراءات لاتقف عند القراءات المشهورة بل نراه يذكر القراءات الشاذة ويحتج بها أو يعللها ففي

تأويله لقوله تعالى:﴿ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخۡفِيهَا ﴾(سورة طه: ١٤٢) قال:"وروي عن سعيد بن جبير أنّه كان يقرأ:(أكاد اخفيها) فمعنى أخفيها على هذا الوجه أظهرها قال عبده بن الطيب يصف ثورا:

يخفي التراب بأظلافٍ ثمانيةٍ  في أربعٍ مَسَّهُنَّ الأرضَ تحليلُ

أراد أنّه يظهر التراب ويستخرجه بأظلافه"[٨٥]،وأعقب ذلك بقوله:"وقد روى أهل العربية: أخفيت الشيء: يعني سترته، وأخفيته بمعنى: أظهرته، وكأنّ القراءة بالضم تحتمل الأمرين: الإظهار والستر والقراءة بالفتح لاتحتمل غير الإظهار..."[٨٦].ولم تكن القراءات كلها بمستوى واحد عند المرتضى إذ نجده يرد بعض القراءات التي أثرت عن قراء مشهورين، لأنّ ظاهرها يخالف قواعد اللغة العربية. من ذلك قراءة الكسائي لقوله تعالى:﴿ فَإِنَّهُمۡ لَا يُكَذِّبُونَكَ ﴾(سورة الأنعام:٣٣)،إذ قال:"قرأ الكسائي بالتخفيف[٨٧]ونافع من بين سائر القراء السبعة، والباقون على التشديد، ويزعم أنّ بين كذّبه وأكذبه فرقاً، وإنّ معنى أكذب الرجل أنّه جاء بكذب، ومعنى كذّبته أنّه كذاب في حديثه. وهذا غلط وليس بين"فعلت"و"أفعلت"في هذه الكلمة فرق عن طريق المعنى أكثر من أنّ التشديد يقتضي التكرار والتأكيد"[٨٨].وقد تابع الفرّاء الكسائي في أنّ هناك فرقاً بين( فعلت وأفعلت)،فقال:"معنى القراءة بالتخفيف لايجعلونك كذاباً، وإنّما يريدون أنّ ما جئت به باطل، لأنّهم لم يجربوا عليه"صلى الله عليه وسلم"،كذباً فيكذبوه وإنّما كذبوه، أي: ما جئت به كذبا لانعرفه"[٨٩]. والحقيقة أنّ ما قال به الكسائي هو الأقرب إلى واقع النص ذلك أنّ الكفار عندما لم يعهدوا منه الكذب انصرف تكذيبهم إلى الخبر الذي جاء به، ولعلّ الذي دفع المرتضى إلى اختيار القراءة بالتشديد رأيه في التكرار وهو الفائدة وهذا لا يكون إلّا مع التشديد. وكذلك رد بعض القراءات لفقدها مقومات الشهرة من ذلك قراءة من قرأ قوله تعالى:﴿ أَلَمۡ يَجِدۡكَ يَتِيمٗا فَـَٔاوَىٰ وَوَجَدَكَ ضَآلّٗا فَهَدَىٰ ﴾(سورة الضحى: ٦ــ ٧)،إذ قال:"روي في قراءة هذه الآية الرفع"ألم يجدك يتيمُ فآوى، ووجدك ضالاً فهدى"[٩٠]على أنّ اليتيم وجده، وكذلك الضال وهذا الكلام يسمج ويفسد أكثر معانيه"[٩١]،فهذه القراءة مرفوضة؛ لأنها لم تكن معروفة، وكذلك ردّ بعض القراءات لأنّها شاذة ومنها قراءة من قرأ قوله تعالى:﴿ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾(سورة المائدة:٦٠)،بغير فتح الباء ونصب الطاغوت[٩٢]. وفي ما قدمناه دلالة كافية على اهتمام المرتضى بالقراءات القرآنية، إذ استدل بجملة منها على قواعد اللغة والنحو. وهو لايكاد يستقر عليها إلّا بعد أن يتضح له صدق مطابقتها للقاعدة اللغوية أو النحوية، وظهر لنا كذلك بأنّه كان يأخذ بالقراءات المتواترة ولا يلتفت إلى الشواذ، ولايميل في ذلك إلى قارئ معين وإنّما كان يأخذ بإجماع القراء السبعة، فكان بحق ذا مكانة مميزة في علم القراءات، فقد أحاط بالمشهور منها والشاذ، إلّا أنّ عنايته بالمشهور تأتي في المقدمة؛ ذلك أنّ الشهرة عنده سبب من أسباب قوة القراءة عند ترجيح بعضها على بعض.

## نتائج البحث

وقد توصل البحث إلى نتائج يمكن أن نذكر منها ما يأتي:

١ــ القران الكريم هو الينبوع الأعظم، والأساس الأول على صحة تقرير قواعد النحو وتحرير مسائله، ونشأة النحو مرتبطة بالقرآن الكريم ارتباطاً وثيقاً. فقد أخذ النحويون منه مادة لاشتقاق قواعدهم وتطبيقها، فضلاً عن إعرابه إعراباً كاملاً، لذلك فإنّ القرآن الكريم من أهم مصادر اللغة، من حيث نحوها وصرفها؛ لأنّه لا مجال للشك في قداسة القرآن الكريم، لذلك كان أولّ مصادر الفكر الإسلامي وأعظمها وأدقها على الاطلاق.

٢ــ لقد كان القرآن الكريم شديد المثول في ذهن المرتضى، عظيم التمكن منه، يسير الاستحضار لدى الحاجة إلى الاستشهاد والتمثيل، فإن أراد تأويل النصوص أو شرحها برز الشاهد القرآني بيسر متناه.

٣ــ كان السيد المرتضى يقدم الشواهد القرآنية على غيرها عند توجيهاته وتعليلاته. ثم إنّه لايكتفي بالشاهد الواحد بل نراه يسوق أكثر من شاهد في المسألة الواحدة، ولعلّ مرد ذلك إلى سيادة الطابع الكلامي على معظم كتبه.

٤ــ اهتم السيد المرتضى بالقراءات بوصفها مصدراً يعتمد في توجيه النص القرآني نحوياً ولغوياً، وأشار إلى اختلافها، وذكر من قرأ بها، ولكي يدعم المعنى المراد من الآية يذهب إلى الشعراء وكلام العرب سانداً إياها، فكان بحق ذا مكانة مميزة في علم القراءات، فقد أحاط بالمشهور منها والشاذ، إلّا أنّ عنايته بالمشهور تأتي في المقدمة؛ ذلك أنّ الشهرة عنده سبب من أسباب قوة القراءة عند ترجيح بعضها على بعض.

٥ــ لم تكن القراءات كلها بمستوى واحد عند السيد المرتضى إذ نجده قد ردّ بعض القراءات التي أثرت عن قراء مشهورين؛ لأنّ ظاهرها يخالف قواعد اللغة العربية أو لفقدها مقومات الشهرة.

٦ــ لم يكتف السيد المرتضى بالاعتماد على مصدر القراءات التي نقل منها القراءات بل إنّه في أغلب الأحيان يتوسع في القراءة، ويذكر اختلاف القراء وحجة كل قراءة وعني عناية خاصة بتوجيه القراءات المشهورة(السبع)، ببيان حججها وعللها وذكر طرقها.

## هوامش البحث

(١) ينظر: وفيات الأعيان: ٣١٣/٣، والوافي بالوفيات: ٢٣١/٢٠، ومرآة الجنان: ٥٥/٣.

(٢)ينظر: الفهرست للطوسي: ١٦٤-١٦٥، وكتاب الرجال: ١٣٦ــــ١٣٧، والعبر في خبر من غبر: ١٨٨/٣، والوافي بالوفيات: ٢٣١/٢٠، وخاتمة مستدرك الوسائل: ٢١٣/٣ــــــــــ٢١٨.

(٣) ينظر: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم: ٢٩٤/١٥، والدلالة القرآنية عند الشريف المرتضى: ١٩.

(٤) ينظر: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم: ١٤/ ٢٦٨، والكامل في التاريخ: ٧/ ٤٤٨، وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٢٧/١، والبداية والنهاية: ١١/ ٣٤٢، ووفيات الأعيان: ٤٢٠/٤.

(٥) ينظر: شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٢٨/١، والدلالة القرآنية عند الشريف المرتضى: ١٩.

(٦)ينظر: يتيمة الدهر: ١٥٥/٣، والمنتظم في تاريخ الملوك والأمم: ١١٩/١٥، والبداية والنهاية: ٣/١٢، والدرجات الرفيعة في طبقات الشيعة :٤٦٧.

(٧)اسماء مصنفي الشيعة(رجال النجاشي): ٢٧٠.

(٨) الفهرست للطوسي: ١٦٤.

(٩) كتاب الرجال: ١٣٦-١٣٧.

(١٠)المنتظم في تاريخ الملوك والأمم: ٢٩٤/١٥.

(١١) العبر في خبر من غبر: ١٨٨/٣.

(١٢) لسان الميزان: ٢٢٣/٤ـــــ٢٢٤.

(١٣) ينظر: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم: ١١١/١٥ــ١١٢، والبداية والنهاية: ٢/١٢.

(١٤)ينظر: مقدمة تحقيق كتاب الناصريات: ١٨ــ٢١، والغدير في الكتاب والسنة والأدب:٢٦٩/٤ــ٢٧١، والشريف المرتضى حياته ثقافته أدبه ونقده: ٤٧ــــــ٤٩.

(١٥)ينظر: أعيان الشيعة : ١١٦/٦ــ١١٧.

(١٦)ينظر: المصدر نفسه: ١٣/٣.

(١٧) ينظر: سير أعلام النبلاء: ٣٣٤/١٨ــ٣٣٥، ورجال النجاشي: ٤٠٣.

(١٨) ينظر: تاريخ الإسلام: ٤٣/٣٠، والوافي بالوفيات: ١٢٤/٧

(١٩) ينظر: العبر في خبر من غبر: ٢٢٢/٣، وأمل الآمل: ٢٨٧/٢ــ٢٨٨.

(٢٠) ينظر: تاريخ الإسلام: ٤٣/٣٠.

(٢١) ينظر: تاريخ الإسلام:١٤٣/٣٠، وأمل الآمل:٤٥/٢.

(٢٢)ينظر: الفهرست، لأبي جعفر الطوسي: ١٦٤.

(٢٣)ينظر: رجال النجاشي:٢٧٠، والفهرست، لأبي جعفر الطوسي: ١٦٤.

(٢٤)ينظر: الشريف المرتضى حياته ثقافته أدبه ونقده: ٧٧.

(٢٥)ينظر: شذرات الذهب: ٢٥٧/٣، ورجال النجاشي:٢٧٠، والفهرست: لأبي جعفر الطوسي: ١٦٤.

(٢٦)ينظر: الدلالة القرآنية عند الشريف المرتضى: ٣٥.

(٢٧) ينظر: الفهرست، لأبي جعفر الطوسي: ١٦٥.

(٢٨) ينظر: الفصول المختارة ، الشريف المرتضى: ١٦.

(٢٩) ينظر: الشريف المرتضى حياته ثقافته أدبه ونقده: ٨٤.

(٣٠) ينظر: رجال النجاشي: ٢٧١، والفهرست للطوسي: ١٦٤ــ ١٦٥، وشذرات الذهب: ٢٥٨/٣، والدلالة القرآنية عند الشريف المرتضى:٦٢.

(٣١) الكليات: ٧٢١.

(٣٢) ينظر: الاقتراح: ٩٦، وفصول في فقه العربية: ٩٧.

(٣٣) الشاهد وأُصول النحو في كتاب سيبويه: ٣١.

(٣٤) معاني القرآن: ١/ ١٤.

(٣٥) الشواهد والاستشهاد في النحو: ٢٠١-٢٠٢.

(٣٦)ينظر: لسان العرب: ٣/ ٤٢، مادة ( قرأ ).

(٣٧)البرهان في علوم القرآن: ١/ ٣١٨.

(٣٨) ينظر: منجد المقرئين:٣.

(٣٩) ينظر: اتحاف فضلاء البشر:٦٧/١.

(٤٠) ينظر: القراءات القرآنية: ٥٦.

(٤١)البرهان في علوم القرآن: ٣١٨/١.

(٤٢) ينظر: لطائف الاشارات: ١/ ١٧١.

(٤٣) ينظر: اتحاف فضلاء البشر:٦٨/١ــ ٦٩.

(٤٤) ينظر: مباحث في علوم القرآن: ١٠٨.

(٤٥) ينظر: القراءات القرآنية: ٦١ــ٦٢ .

(٤٦) ينظر: المغني في توجيه القراءات العشر المتواترة: ٤٧/١.

(٤٧)النشر في القراءات العشر: ١/ ١٥.

(٤٨) ينظر: المغني في توجيه القراءات العشر المتواترة: ٤٧٨/١.

(٤٩) ينظر: القراءات القرآنية د. الفضلي: ٥٩ .

(٥٠) النشر في القراءات العشر: ١/ ٩ .

(٥١)ينظر: لطائف الاشارات: ١/ ١٧٠ .

(٥٢) القراءات القرآنية د. الفضلي: ٥٩ .

(٥٣) منجد المقرئين:١٦.

(٥٤) ينظر: القراءات القرآنية د . الفضلي: ٥٩.

(٥٥) منجد المقرئين: ١٦.

(٥٦) ينظر: البرهان في علوم القران: ٣٣١/١، والنشر في القراءات العشر:٩/١.

(٥٧) ينظر: رجال النجاشي: ٢٠٦.

(٥٨) ينظر: المصدر نفسه: ٢٠٦.

(٥٩) تنزيه الأنبياء : ٢٥.

(٦٠) الأمالي: ٢/ ٥٤ــ ٥٥.

(٦١) المصدر نفسه: ٤/٢.

(٦٢) ينظر: المصدر نفسه:٤٧/٢.

(٦٣)ينظر: المصدر نفسه: ٣٠٩/٢.

(٦٤) ينظر: المصدر نفسه: ٣٠٩/٢.

(٦٥) ينظر: الشريف الموتضى وجهوده اللغوية والنحوية: ١٨٥.

(٦٦)ينظر: اتحاف فضلاء البشر: ٩.

(٦٧) النشر في القراءات العشر: ٩/١.

(٦٨) ينظر: البحث اللغوي عند العرب: ٢٣.

(٦٩) أصول الكافي: الرواية: ١٢، وينظر: البيان في تفسير القرآن: ١٢٣.

(٧٠)التبيان في تفسير القرآن: ٧/١.

(٧١)ينظر: الشريف المرتضى وجهوده النحوية: ١٨٦.

(٧٢) قرأ بها ابن عباس وابن أبي عبلة، ينظر: معجم القراءات القرآنية: ٢٢٤/٢.

(٧٣) قرأ بها حمزة ، والمطوعي، والاعمش، ويحيى بن وثاب، ينظر: معجم القراءات القرآنية: ٢٣٢/٢.

(٧٤) قرأ بها ابن عباس، وابن أبي عبلة، وابن مسعود، وإبراهيم النخعي، والاعمش، ومجاهد، وابن وثاب. ينظر: معجم القراءات القرآنية: ٢٢٣/٢.

(٧٥) الأمالي: ١٨٢/٢.

(٧٦) قرأ بها أيضاً المطوعي، والأعمش، ويحيى بن وثاب. ينظر: معجم القراءات القرآنية : ٢٢٣/٢.

(٧٧) الأمالي: ١٩٢/٢، وقد اختلف في قراءة هذه الآية، إذ نقل لها ابن جني في كتابه المحتسب عشر قراءات ينظر: ١/ ٢١٤، وأوصلها معجم القراءات القرآنية إلى ثلاثين قراءة.

(٧٨) ــنسب الفرّاء هذه القراءة إلى الرسول(صلى الله عليه وسلم)، ينظر: معاني القرآن: ١٨/٢، ونسبها ابن الجزري إلى يعقوب والكسائي، ينظر: النشر: ٢٨٩/٢.

(٧٩) الأمالي: ٥٠٢/١ ــ ٥٠٥.

(٨٠) الأمالي: ٢١٣/١.

(٨١) المصدر نفسه: ٢١٣/١.

(٨٢) تنزيه الأنبياء: ١٣٤.

[٨٣] المصدر نفسه: ١٣٥.

[٨٤] المصدر نفسه: ١٣٦.

[٨٥] الأمالي: ٣٢٦/١.

[٨٦] المصدر نفسه: ٣٢٦/١.

[٨٧] ينظر: معجم القراءات القرآنية: ١١٤/٣.

[٨٨] الأمالي: ٢٦٧/٢.

[٨٩] معاني القرآن: ٣٣١/١. وينظر: الحجة في القراءات السبع لابن خالويه: ١١٣.

[٩٠] وهي قراءة أبي الأشهب العقيلي، ينظر: معجم القراءات القرآنية: ١٨٢/٨.

[٩١] تنزيه الأنبياء : ١٠٦.

[٩٢] الأمالي: ١٨٢/٢. وينظر: السبعة في القراءات: ٢٤٦.